غلاء المعيشة

قال سعيد باشا شقير في خطبته المدرجة في مقتطف ابريل في عرض كلامه على الصور بين « فعسى ان يلجأوا كلهم الى الجامعة الكبرى التي تجمعهم وكل ابناء هذا القطر والنزلاء فيه وهي جامعة البشرية جامعة الانسانية جامعة النوع الاكبر والاسمى نوع الانسان » . وقد قام كثيرون من ذوي المدارك السامية الذين لم يقصروا همهم على التفكير في شؤونهم الخاصة او شؤون قومهم بل تعدوها الى شؤون البشرية جمعاء وقالوا مثل هذا القول حاسبين الناس كلهم اخواناً لهم . ولا يزال عددهم يزداد يوماً فيوماً ولا بدع في ذلك بعد ان مهدت سبله بالاختراعات التي قرّبت الابعاد ومهدت الاطواد ومرجت البحار وسخرت الكهرباء والاثير والبخار وجعلت الناس كلهم كأنهم في بلد واحد واصبحت اقطار الارض تشاطر بعضها بعضاً حالتي اليسر والعسر

وقد زاد البعض الاهتمام بشؤون الخلف . ومن امثلة ذلك اقتراح الدكتور دكسون في خطبته التي القاها في مجمع تقدم العلوم البريطاني في دور انعقاده الاخير ان تؤلف لجنة مكونية تنظر في خيرات الارض وتعمل على منع الاسراف فيها لكي لا تحرم اهل القرون المقبلة منها . ومثل هذا الاقتراح اقتراح الاستاذ فشر في مجمع تقدم العلوم البريطاني ايضاً وهو ان يعقد مؤتمر عام يشترك فيه نواب من جميع الامم للنظر في غلاء المعيشة والبحث عن اسبابه والعمل على تلافيها

وقد قام اناس يرجفون بحاجة مقبلة لتكاثر الناس فيقولون انهُ لا بد من ان يجيء زمان يضيق فيه الناس اكثر من ان تكفيهم حاصلات الارض . واشهر القائلين بذلك في قديم الزمان ملثوس الاقتصادي الانكليزي المشهور الذي قال بوجوب تقليل النسل والاَّ لم تعد حاصلات الارض كافية لهم . وقام بعدهُ كثيرون يقوّون بقوله وينصحون الناس بالعمل على تقليل النسل . ومما قالهُ ملثوس «من كان فقيراً وتزوج وولد لهُ اولاداً كثيرون فعلى الجمعيات الخيرية ان لا تمد اليه يد المساعدة لكي تنالهُ عاقبة عمله » وقال سبنسر بعدهُ ما يقرب من قولهِ هذا وهو « ان الشقاء من مقومات الانتخاب الطبيعي فيجب ابطال الجمعيات الخيرية ومعاهد الاحسان لانها تقف في وجه تنازع البقاء الذي يقضي على من كان غير صالح للبقاء »

ولكن من تدبّر الاحصاءات اتضح لهُ ان ازدياد الناس يقل مع ازدياد المدنية كما وقع لبعض البلاد الاوربية . نعم ان الوفيات قلت كثيراً بانتشار المعارف الصحية واعتناء الحكومات بالصحة العمومية ولم يعد في اوربا مثلاً اثر للاوبئة التي كانت تفتك بالناس الفتك الذريع كالطاعون

والكوليرا وغيرهما ولكن المواليد قلت ايضاً لاسباب شتى منها تأخير سن الزواج وكراهة ولادة الاولاد وتربيتهم وحمل اعبائهم . وقد باتت بعض الشعوب الاوربية توجس خيفة من تناقص السكان لا من كثرتهم . واليك نسبة المواليد الى عدد السكان في بعض الممالك الاوربية

من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٧٩ كانت المواليد ٣٫٨ في المئة من السكان سنوياً

" ١٨٨٠ — ١٨٨٩ " " ٣٫٧ " " "

" ١٨٩٠ — ١٨٩٩ " " ٣٫٦ " " "

فلا خوف اذن من ان يزيد الناس حتى تصير خيرات الارض غير كافية لمعيشتهم ولكن نفقات المعيشة تزداد الآن عاماً بعد عام كما ترى من الجدولين التاليين وهما مستخلصان من احصاءات اهم البلدان . وفي الجدول الاول فُرضت نفقات المعيشة سنة ١٩٠٠ مئة وذكر فيه كم بلغت تلك المئة في سنة ١٩١٢

كندا	١٥١	روسيا	١٢١
الولايات المتحدة	١٣٩	ايطاليا	١٢٠
اليابان	١٣٨	نروج	١١٩
النمسا	١٣٥	جزيرة نيوزيلند	١١٦
البلجيك	١٣٢	استراليا	١١٦
المانيا	١٣٠	بلاد الانكليز	١١٥
هولندا	١٢٣	فرنسا	١١٥

وهاك جدولاً آخر يبين لك ارتفاع ثمن لحم البقر في فرنسا من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٩١٠

ثمن الكيلو غرام

سنة	سنتيم	فرنك
١٨٤١	٧٩	٠
١٨٦٢	١٨	١
١٨٨٢	٦٠	١
١٨٨٨	٤٠	١
١٩٠٤	٦٠	١
١٩٠٧	٦٤	١
١٩١٠	٧٠	١

وكان ارتفاع ثمن لحم البقر في البلاد المجاورة لفرنسا كسويسرا والمانيا وايطاليا أكثر من ذلك

اما اسباب غلاء المعيشة فعلماء الاقتصاد على اختلاف فيها . ويعتقد بعضهم ان سبب ذلك ازدياد عدد الناس وازدياد طلبهم للرفاه والكماليات . وعدد الناس يزيد كل سنة نحو ٢٠ مليون نفس في العالم كله ومن الامثلة التي تدل على ازدياد تأنقهم في الاكل ان متوسط ما اصاب الشخص الواحد من اللحم في مدينة الاسكندرية سنة ١٨٩٣ كان ١٧ كيلو غراماً فارتفع الى ٢٠ كيلو غراماً سنة ١٩٠٨ ثم الى ٢٠ كيلو غراماً و٥ غرامات سنة ١٩١٠ . وعلى ذلك فمواد الطعام وحاجيات الانسان الاخرى ارتفعت اثمانها لان طلاَّبها كثروا . وقد اشار الى ذلك الاستاذ دكسون في خطبته في مجمع تقدم العلوم البريطاني حيث قال « لا اريد الارجاف وتخويف الناس من ضيق مقبل ولكن يجدر بنا ان نبحث في الامر ونتحقق مبلغهُ من الصحة . ولا يليق بنا في هذا العصر ان نستسلم الى التيار ونقعد عن التفكير في هذا الامر الخطير الذي يمكن ان يلم بنا »

وقال موني الاقتصادي الانكليزي « تبلغ مساحة اليابسة ٥٠ مليون ميل مربع ومنها قسم كبير صحاري او مما لا يصلح لسكن الانسان لاسباب اخرى . والبقاع التي اغدقت عليها الطبيعة نعمها من الفحم الحجري والبترول ومجاري المياه التي تولد بها القوة لادارة المعامل قليلة . وقد استخرج ما يسهل استخراجهُ من مناجم الحديد والنحاس والقصدير والرصاص والزنك وغيرها من المعادن فامسى تعدينها من هذه المناجم الآن اصعب من ذي قبل واثر ذلك في ارتفاع اثمانها . ومثل ذلك يقال في الخشب فان ما يستهلك منهُ كل سنة اكثر مما ينمو في الحراج »

ولكن الاكثرين على ان الغلاء مسبب عن كثرة الذهب في ايدي الناس . ومن القائلين بذلك الاستاذ فشر من اساتذة جامعة ياييل في اميركا وقد اورد الادلة على صحة مذهبهِ هذا في خطبتهِ في مجمع تقدم العلوم البريطاني واهم ما اوردهُ في هذا الصدد ان الغلاء كان دائماً يرافق اكتشاف المناجم الجديدة واستخراج الذهب بكثرة بينما كان الرخص يرافق قلة استخراجهِ

وقد قال احدهم « ان ارتفاع الاسعار منذ خمس عشرة سنة حتى الآن كان عاماً عمَّ الحاجيات التي يفتقر اليها الانسان في معيشتهِ وجميع البلدان التي وصلتنا احصاءاتها . واذا اصيب جميع التلامذة في مدرسة واحدة بالحمى قلنا ان لا بد لجراثيم الداء من مصدر واحد وصلت منهُ الى التلامذة . فاذا غلت اسعار الحاجيات كلها في وقت واحد وفي جميع البلدان

فعندي ان الوجه المعقول في تعليل غلائها هو ان نبحث له عن سبب واحد عام لا عن اسباب شتى . ولما كانت الاثمان تقوَّم بالذهب وكان الذهب قد كثر منذ خمس عشرة سنة حتى الآن فسبب الغلاء هو كثرة الذهب وليس من سبب آخر عام يمكن تعليل الغلاء به »

ولعلَّ السببين اللذين ذكرا عملا كلاهما معاً على رفع الاسعار . فقد كثر الناس في الخمس عشرة سنة الاخيرة وزاد طلبهم للكماليات وحرصهم على الرفاه فزاد الطلب على الكماليات مع الحاجيات . وكثر ايضاً الذهب فانحطت قيمتهُ بالنسبة الى المواد التي تقدر قيمتها به . اما الحكم في اي العاملين كان اشد تأثيراً فمن الصعوبة بمكان

ويصعب البت ايضاً في هل يبقى ارتفاع الاسعار مطرداً في السنين المقبلة وقد قال الاستاذ نشر في خطبتهِ التي تقدم ذكرها « يرى كثيرون ان ارتفاع الاسعار مطرد ولا بد ان يفضي بنا الى الضيق والشدة في السنين المقبلة . ولا نقدر ان نتلافى ذلك الآن لاننا لا نعرف السبب الحقيقي لهذا الغلاء فيجب علينا ان نجمع الادلة والبينات الكافية لمعرفة السبب الحقيقي فنتفق عليهِ وعلى ازالتهِ »

وقال ايضاً « وتختلف الآراء في المؤتمر (الذي اشار بتقدمهِ كما تقدَّم) هل سبب الغلاء كثرة النقود والكرديتو او نقص الحاجيات بالنسبة الى طالبيها فاذا اظهرت نتيجة ابحاثهِ ان العامل الاكبر على الغلاء هو كثرة النقود كان لا بد من تلافي هذا الامر كأن تعيَّن قيمة النقود بالنسبة الى الحاجيات اي تعين اثمان الحاجيات بها على وجه عام فلا تعود كثرة النقود ترفع الاثمان . فاذا لم يكن هذا الاصلاح ممكناً او لم يرَ المؤتمر سبيلاً للعمل بهِ فيمكن الالتجاء الى الواسطة الاخرى وهي الاقتصاد في استعمال الحاجيات بمنع الاسراف فيها وحفظ ما ينضب منها الآن ضياعاً . فيُعمَل مثلاً على الاحتفاظ بما يضيع الآن من موارد الثروة الطبيعية فلا تُستنزف كلها وعلى التخلص من السماسرة الذين لا ينتجون شيئاً بل يكتسبون من غيرهم ويمكن الاستغناء عنهم وعلى تأليف جمعيات التعاون حيث يرجى الاقتصاد من وراء تأليفها وعلى اصلاح الطرق التي تسير عليها البنوك وازالة الحواجز التي تقيمها المالك بفرضها الضرائب الجركية الباهظة »

ولعلَّ اكبر اسباب الشكوى ليس غلاء المعيشة بل المعيشة الغالية كما قال الفيلسوف جمس اي ان من كان يكتفي بلبس القطن لا يقنع الآن بغير الحرير . ومَن كان يكتفي بأكل اللحم مرةً في الاسبوع صار يطلبهُ مرتين في اليوم . ومَن كان يكتفي باثاث ثمنهُ مئة جنيه لا يقنعهُ الآن اثاث ثمنهُ مئتا جنيه وهلمَّ جرًّا